

## الزوجة والزواج

لما خطرت فكرة انشاء المجلة على نفسي وكانت لم تتخمر بعد كنت  
امني روجي بالآمال واهي المواضيع وأعد المعدات شأن كل نفس عالية  
بعثت في جسم ضعيف تمنى الوصول الى قم المجد لنهي لأبناء امها منها  
مكاناً فتجد الابواب موصدة في وجهها فتعزى بالآمال وتتصور انها نبضت  
على مفاتيح السعادة الأديبة الحقيقية فترقي من تصوراتها وتسترسل الفكر  
في بحرانه الى ان ينبهه منبه فيعود الى صوابه وكان عزاء نفسي الوحيد اني  
كنت اناجيتها فأقول

اذا لم يكن لك ايتها النفس سبيل للوصول الى ما تريدن فيكفيك  
الاكتفاء من الحقائق بالخيال . كانت هذه التصورات تعزيتي الوحيدة  
وكانت افكاري احياناً تسبح بي في محيط واسع من الآمال لا نهاية لها  
فتذكرت مرة حكاية السندباد البحري الذي بلغ ما وصل اليه جهده وكده  
انه اصبح يملك « قدرة سمن » فحملها على رأسه وسار بها الى السوق وكانت  
نفسه تحذره بالآمال العظيمة على مستقبل هذه « القدرة » الى ان بلغت  
به ان يقول « سوف ابيع هذه القدرة واشتري غيرها وايها وانا اجر بالسمن  
حتى اصبح غنياً فأبني قصوراً واتزوج وارزق ولداً أريه واعلمه واذا لم  
يطاوعني اضربه بهذه العصا » وبينما هو غرقان في تأملاته تصور ان آماله  
حقائق فرفع العصا ليضرب بها ابنه فوقعت القدرة من على رأسه  
وتكسرت وسال السمن على الارض وتحطمت آماله فتنبه من غفلته وعرف

انه كان يحلم بالمستقبل

لما تذكرت هذه الحكاية وكانت نفسي تشبعت بالتصورات والآمال البعيدة التي تنتج من وراء انشاء هذه المجلة كنت اشعر انني في حلم وليس في يقظة .. هذه التصورات وحدها كانت تخيفني فترجعني الى الوراء فاتقهر مضطربة من المستقبل لأن المأمورية التي اريد ان احملها على عاتقي ثقيلة خصوصاً في وسط شرقي كالوسط الذي نعيش فيه . وأخيراً تغلبت عزيمتي على عواطفي وامياالي وقاومت كل الصعوبات التي احسب انها تعترضني في سيرني وقلت ان « لا بد » من انشاء مجلة وأنه اذا كانت الصعوبات التي تقف في سبيل نجاح المشروع شديدة فانا اجعل ارادتي اشد منها فان نجحت نفسي بخدمتي لأمتي فخراً وان لم انجح فيكفيني اني عملت « پروفا » للمشروع الذي اعده للمستقبل اذا كان الحاضر لم ينضج بعد لقبوله ولما وضعت يدي على المحراث وصنمت ان لا التفت الى الوراء قلت قد جاء وقت العمل وبدأت اهيء المعدات للعدد الاول ولما كنت اعتبره « كپروفا » للمشروع كما قدمت اخذت من ضمن مواضعه هذا الموضوع الذي ابحث فيه الان

الموضوع او هذه الفكرة التي خصصت لها هذه الكلمات هي نقطة الدائرة في حياتنا الاجتماعية مما لا يختلف فيه اثنان انه اذا وفق المرء وهو في ربيع حياته قبل ان يخطو الخطوة الأولى من دور الحياة الحقيقي الى نزوجة صالحة مناسبة تتوافق اخلاقها مع اخلاقه وتمتزج طباعها مع طباعه ويتلاقى قلبها مع قلبه في طريق واحدة فانه يمكنه حينئذ ان يعيش مستريح

البال هادئ الضمير مرتاح الفؤاد ويمكنه ان يجاهر على الملا انه قبض على مفاتيح السعادة الحقيقية . اقول مثل هذا القول عن الزوج كما افوله عن الزوجة فانها اذا وفقت وانسعدتها حظها بزواج تندمج روحها مع روحه وتتألف طباعها مع طباعه وتجد في حياتها معه تلك الراحة التي كانت تمنى نفسها بوجودها بالحصول على زوج يناسبها مناسبة حقيقية بكل معنى الكلمة فيمكنها ايضاً ان تتيه على بنات جنسها عجباً وافتخاراً وتقول انها ارتقت دور السعادة الحقيقية اذ وفقت الى زوج صالح

على مثل هذا الأساس يقام بناء السعادة العائلية اذ من المسلم اننا اذا ضمنا سعادة العائلة ايكننا ان نضمن سعادة البلد والوطن والأمة باجمعها لأن البلد مجموع تائلات والوطن مجموع بلاد والأمة مجموع الاثنين . يعتقد كثيرون من الناس ان السعادة الحقيقية لا تأتي من اتفاق الزوج وزوجته وارتباطهما ارتباطاً حقيقياً واتجاه غواظهما لوجبة واحدة رائدها الاخلاص ودليلاً المحبة الطاهرة زعماء منهم ان السعادة الحقيقية لا ينالها الانسان الا من سبيل واحد هو سبيل المال وفي اعتقادي ان الذين يذهبون على هذا المذهب مخطئين من وجوه كثيرة واليك البيان

(١) اذا كان المال حقيقة على زعم البعض واسطة من وسائل السعادة فهذه الوسطة لا تدوم طويلاً ولا يجد الانسان العاقل منها ما يجده من زوجة موافقة شرطب اخلاقه اذا غضب . وتواسيه اذا مرض . تعطف اليه عند الشدة . وتشفق به عند الضيق . تتألم لآلامه وتفرح لفرحه . تكون نفسها نفسه وروحها روحه . فاذا عبس الدهر في وجهه ضحك له وجهها . تكون

يديها في يده لمقاومة صدمات الحياة واحتمال شداؤها . فإين يجد الانسان من يكثر هذه الصفات . وما المال الا هذا المعدن الصلب الذي لا يعرف لتكييف النفوس وتقريب المواطن سبيلاً والنفس لا تكيفها الا نفس تحس وتشعر مثابها

(٢) ان الزوجة الصالحة لا تثمن بمال . قال الفونس دوديه الكاتب الفرنسي المجيد في بعض ما كتبه « ان كنت استحق فخراً فلا مراثي نصفه » ولم يقل ان الفضل في ما كتبه لثروتي نصفه . لم يقل ذلك لان الزوجة الحقيقية افضل من كل ثروة . لا بل هي افضل عند الرجل العاقل من العالم بأسره لانها كل ثروته الحقيقية من هذا العالم اذا كانت جامعة في نفسها شروط الزوجة بالمعنى الصحيح . فاذا سلمنا بعد هذا البيان ان المال لا يعد الوسطة لضمان السعادة العائلية . وان هذه السعادة لا تأتي الا من التوفيق الى شريكة تتوفر فيها الصفات المتلائمة مع اخلاق الشريك وصفاته امكنا ان نبحت في الطرق والوسائل التي يصل بها الرجل لغرضه ويجد هذه الشريكة

انا اعرف ان في مصر الوفاً من الشبان الذين تجاوزت اعمارهم السن الطبيعي للزواج . هؤلاء اذا سألتهم لماذا هم باقون كالاشجار اليابسة التي لا تورق ولا تثمر يقولون لك . انا لم نجد من نضع يدنا في يدها فتكون لنا الحديقة الزاهرة التي يثمر في ارضها غرسنا الصالح وتظلنا باشجارها الوارقة . وعندى ان الذين يقولون . مثل هذا القول اما انهم مغترون بعزوبيتهم حتى عميت ابصارهم عن نعمة المعيشة العائلية واما انهم لا ينظرون من وراء

الزواج تلك الاغراض الشريفة التي نحل من ينظر اليها في هذه الايام .  
قرأت اخيراً في مقالة لبعض الادباء عن المزوية يقول فيها « ان  
الزواج الصحيح الذي يتغنى به انصار المعيشة الزوجية ويستندون في  
تفضيله على الاحاديث والحكم والشروح الطويلة العريضة قضى بأسوأها  
عليه تحت ردم التقاليد والعادات والمقاصد وقام على انقاضه زواجاً ثانياً  
هو اشبه شيء بالتجارة والمضاربة عملتهما الشرف والفوز والالقب ممثلاً  
في « الدوتة » والايراد والثروة والأرث وغيرها من وسائل الاستثمار .  
وهذا القول هو الواقع الصحيح بعينه لانه قل من يوجد من الشبان في  
الوقت الحاضر من يطلب الزواج للاغراض الشريفة التي قام عليها بناء العمران  
ولو سألنا الشبان الذين يسمون وراء الزواج في هذه الايام عن  
الاغراض التي يرمون اليها لظهور لنا انهم يريدون من الزوجة ان  
تكون جميلة وغنية ومتعلمة « ووارثة » وغير ذلك من الأسباب التي لا  
تقف اغراضهم عند حد منها . وغالبهم يفضل الزوجة الوارثة مهما كانت  
دمامة وجوبها وشدة اخلاقها . سألت بعضهم يوماً ما وكان تجاوز من عمره  
الحد الطبيعي للزواج عن سبب امتناعه عنه وبقائه عازباً حتى الآن فقال  
انه لا يكره ان يتزوج شرطاً ان يتوفى الى زوجة « occasion » قلت له  
اريدها غنية؟ قال نعم . ومتعلمة؟ نعم . وجميلة؟ نعم . واخيراً قال اريدها  
« occasion تمام » - فقلت له ماذا تقصد من ذلك؟ قال ان تكون  
زوجتي الموعودة « لقطه نعال »

سمعت هذا القول من ذلك الشاب فحزنت في نفسي ان اسمع مثله

من شاب أعدّه من الشبان المتعلمين الذين يفهمون قيمة الوسط الذي يعيشون فيه

حزنت لأننا في فجر القرن العشرين وشباننا الذين تفاخر بهم مصر تنصرف وجهاً عنهم عن الحقائق للخيال فيتركون الجوهر ويتمسكون بالعرض مسكين مثل هذا الشاب الذي يطمع من ثروة الدنيا الحقيقية بالقشور دون اللباب

ما ضره لو ترك العرض وتمسك بالجوهر واشترط من صفات زوجته ان تكون متعلمة مؤدبة متريية جميلة الخلاق لا جميلة الوجه والهندام اننا لو بحثنا في الامراض الملمة بجميع العائلات المصرية وبحثنا في اسباب الاختلافات التي تكون نتيجةها غالباً انفصال الزوج عن زوجته بالطلاق عند اخواننا المسلمين وبالانفصال الذي لا تعرف له حدود عند الطوائف المسيحية لانتهي بنا البحث الى ان منشأ هذه الامراض والاختلافات يرجع الى سوء الاختيار وهذا يأتي من كثرة مطالبنا المتعددة التي نشترط توفرها في الزوجة المستقبلية فتكون النتيجة ما نراه بين ظهرائنا كل يوم من الاضرار التي كادت تقضي على مجموع الامة

اني اكتب هذه السطور وقلبي يكاد يتمزق حزناً على هؤلاء الشبان الذين فات اوان زواجهم الطبيعي وأفنوا زهرة عمرهم في مفاسد الوقت الحاضر ودخلوا في دور الكهولة المظلمة اي دور اليأس الذي يستولي على النفوس فيميت كل ما فيها من العواطف ولم يفقهوا وهم في دور القوة الى نعمة الزواج او فقهوا لها وتجاهلوا مدعين انهم لم يتوقفوا الى الزوجة التي

توافق مشاربهم واذواقهم كما يزعمون . ولا شك ان من يتأمل بعين بسيرة  
ونفس خلية عن كل غرض الى تلك المبادئ السامية التي قام على اسها  
بنيان الزواج الصحيح لا يسه ان يتردد ابداً بعد ان يتعمق في معرفة  
سر الزواج مهما كان هو من انصار العزوية ان يعترف بان الزواج لازم  
وان الواجب على كل انسان ان يسعى اليه في حاته وقته

اما تلك الاسباب الواهية التي يتمسكون بها وهي ادعائهم عدم وجود  
من يرشدهم الى زوجه توافق مشاربهم وطباعهم . وقولهم انهم وجدوها  
ورغبوا ان يروا وجهها قبل ان يضعوا ايدهم في يدها تقوم في وجههم اسواراً  
عتيدة من التقاليد والمعادن الموروثة فمن ذلك اقول لهم انهم اذا كانوا  
حقيقة يرغبون في الزواج وانهم لم يرددوا من ذكره في مجالسهم ليتذذوا من  
سماعه لان غالب شبان هذا الزمان على ما ارى يكثرون من احاديث  
الزواج ليتفكروا بها لا لينفذوها عن رغبة صحيحة في نفوسهم حتى تصح  
فيهم قول العوام « حدث العازب واركب حمارته »

فاذا كانت الرغبة الحقيقية والارادة الاكيدة متوفرتان في النفس  
فامامهما تتلاشى كل صعوبة . اما تلك الاسوار العتيدة التي تقف في سبيلهم  
فقد انقضى او اوشك ان يتقضي زمانها بفضل التربية والتعليم اللذان  
انتشرا بين الناشئة الحديثة من بنات الزوجة الاخيرة . وانا اعرف كثيرات  
من العائلات المصرية الراقية لا تبخل على طالب الزواج الصحيح ان يرى  
خطيبته بعد ما يأخذ من أهلها كلمة القبول . وأعرف كذلك ان بين  
العائلات المتوسطة كثيرات منها ممن لا تعد بناتها بضاعة مزجاة لا تتأخر

ابداً ان يرى الطالب خطيته اللهم اذا كان قصده الزواج فعلاً لا مداعباته الاولى . اقول مداعباته الاولى لان كثيرين من شبان هذا الزمان جف ماء الحياة من وجوههم فائخذوا الزواج وسيلة لهم يكشفون بواسطتها زوايا بيوت الناس لاغراض سافلة لا يأتيها الا أدنياء الشبان المنتحطين وهناك وسائل اخرى كثيرة للشبان لا تخفى عليهم يمكنهم ان يروا منها محاسن وكالات البنات فيختاروا منهن بسهولة من يروا ان روحها الخفيفة اللطيفة تترج مع ارواحهم حتى اذا كان للنظرة الاولى في قلوبهم محلاً شغلته في الحال . ويتفق كثيراً ان الشاب متى وقع نظره على فتاة يهيم بحبها قلبه وتنطبع صورتها على فؤاده فلا ينساها ابداً وكذلك يتفق للفتاة ان ترى انساناً لأول مرة فيعجبها ذاته فتفتح له في الحال ابواب قلبها الموصدة وتجلبه في انجر مكان فيه ولكنها متى حادثته وحادثها يتغير احساسها وتعرف انها اسرعت في فتح ابواب قلبها الموصدة التي لا يجب عليها ان تفتحها لكل عابر سبيل

وبخلاصة ما اقصده من هذا الكلام في هذا البحث الطويل العريض ان افهم الشبان الذين يستهجنون في سرهم كلما مر على خاطرهم ذكر الزواج ان الوصول اليه وانتقاء زوجة صالحة مناسبة ليس من المستحيلات كما يتوهمون لانه اذا كان هناك لديهم ارادة قوية فعالة فتحت اقدامها يتحطم كل سخر من صخور المستحيل وقصدي ايضاً ان افهم الاباء والامهات ان شبان هذا الزمان «وان كنت انحيت عليهم باللائمة كثيراً في هذا الفصل» يميلون للزواج «من عينهم ومن قلوبهم» اللهم الا افراداً منهم قليلين نحن

نلومهم ولا ندري ما هي اعدارهم . ويمكن ان « عينهم بصيرة ويدهم قسيرة » فلا يلزمنا ان نشدد النكير عليهم . أما ما أريد ان استلفت اليه بنوع خاص نظر الآباء والامهات هو ان هؤلاء الشبان الراغبون في الزواج « بعينهم وقلوبهم » لا يتحول دونهم ودونه غير تلك العثرات التي يرضها في سبيلهم الآباء والامهات الذين لم يزل لفعل الماضي تأثير سيء على نفوسهم ولما كان توفر امتزاج الارواح بالارواح لا بد له من وجود تيار يجري بينها وهذا التيار هو الجاذبية الحسية التي لا بد من تكوينها عند الزوجين فاذا لم تتوفر هذه الجاذبية بين رجل وزوجته فان معيشتها تكون عرضة لعبث الايام ويكون زواجهما عن عمد اساسه سوء التفاهم وتتيجته التخاصم والتلاكم وقد جرت العادة انه اذا قصد انسان ان يشتري لنفسه ثوباً جديداً فانه لا يدفع ثمنه ولا يبدي موافقته ما لم يقس هذا الثوب على نفسه ويحده موافقاً تمام الموافقة . كذلك اذا قصد مشتري بقرة مثلاً يستدر لبنها فلا يثبت في الامز ما لم يرب تلك البقرة ويسمع وصف مجاسنها من الناس وانها من خير البقر المدرار . فاذا كان هذا الرجل عند مشتري الثوب الذي يلبسه والبقرة التي يحلب لبنها وهذه اذا خدع فيها فقد خدع في ماله افلا يجدر بالآباء والامهات ان لا يبخلوا عليه بنظرة من وجوه بناتهم بنظرة واحدة من وجه تلك التي ستكون شريكة له في حياته الجديدة التي سيدخلها بعد الزواج ؟

قال الاعمش « كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم » وفي الواقع ان كل زواج يبني على غير هذه القاعدة يكون رباطاً محلولاً سريع

الانفكاك لانه لم يبين على دعائم ثابتة تقاوم الارياح والاعاصير التي تهب في وجه المعاشرة

ولما كان البحث في هذا الموضوع وهو من اهم مواضيع الاجتماع التي قام عليها بناء العمران لا ينتهي عند مقالة واحدة رايت ان اکتني الآن بما تقدم على ان اعود لأيفاء الكلام عنه في اعداد المجلة المقدمة واختم الآن هذا المقال بنصيحة عامة اوجهها للآباء والامهات واخص بالذكر البنات وهي ان لا يُظهرنَ تمنهنَّ عن اظهار نفوسهنَّ لكل رجل شريف يطلب الزواج الصحيح لان هناك كثير من الشبان لا يرغبون في الزواج لتلك العثرة التي يلقيها في وجوههم الآباء والامهات واذا كان في بعض هؤلاء الشبان من يشك في صدق نيته وعزيمته فلا يصعب تمييز رغبته وحرام علينا ان نأخذ الكل بجريرة البعض .

## شبع عال

لا تدهشي يا حضرة القارئة ويا حضرة القارئ من هذا العنوان الذي توجت به رأس كلماتي هذه. وقبل ان يتساءل كل منكم في نفسه عن السبب الذي لاجله اتخذت هذا العنوان . احكي لحضراتكنَّ وحضراتكم الحكاية حتى لا تطول حيرتكم وحتى يستريح قوادكم وقؤادي وواقمة الحال يا سيدتي الائسة ويا « سيدنا الافندي » اني خرجت غروب يوم ما ومعي طفلي الصغير وانا متضايقه من « دوشة البيوت »